﴿ خطاب صاحب المنار ﴾

على طلاب الكلية الامريكية المسلمين في بيروت

ايها الاخوة الكرام:

انكم انتم محل رجاء البلاد بتربيتكم وما تتلقون من العلوم العالية لذلك أحببت في هذا الوقت القصير ان اذكركم بما ينبغي لطالب العلم ان يكون عليه ليتحقق رجاء أمته فيه

ان العلوم تطلب لغرضين صحيحين : احدهما تكميل النفس وترقية العقل . وثانيهما العمل بالعلم والعمل به مسلكان احدهما جعله حرفة ومستغلا للعامل والآخر جعله وسيلة لترقية الامة واعلاء شأنها ويمكن الجمع بينهما

الغرض الأول لابد منه لكل عاقل وهو العون الاكبر على الغرض الثاني فان من استنار عقله بالعلوم وصار صحيح الحكم فيها تعلو همته ويكون جديراً بالاحسان في العمل والاتقان للصنع فيجب اذاً ان يكون هو أول شيء تتوجه اليه همتكم وتنظم فيه رغبتكم

يظن بعض ضعفاء العقول وصغار النفوس ان طلب العلم لأجل ترقية شأن الامة به بناء فيما أودع في الغرائز من كون منفعة الانسان لنفسه هي العلة الغائية لكل عمل من اعماله وان من توجه الى ذلك وجعله همه من حياته تفوته معاملة ومنافعه التي لابد له منها

تلك خديعة الطبع اللئيم ووسوسة شيطان الخسة والصغار لصغار الهمم فقد رأينا بأعيننا وسمعنا وروينا عن التاريخ ان الذين يقفون حياتهم على خدمة أممهم لا يعوزهم الطعام واللباس اللائق بهم بل كانوا يفضلون عيشتهم على كل عيشة سواها للهم من الكرامة ورفعة الذكر ان لم يكن في بداية أمرهم ففي نهايته

ان من يسلك في طلب العلوم مسلك الاحتراف ويكون قصده منه ان يجعله دكانا يتجر به أو بستانا يستغله ليعيش منه لا يرتفع به الى ما هو أعلى من هذا القصد فان قيمته في الوجود لا تعلو قيمة غيره من اصحاب الحرف والصناعات العملية كالتجارة والحدادة والزراعة . لا أقول ان هؤلاء لا قيمة لهم وكيف أقول ذلك واعمالهم لابد منها للمجتمع الانساني وانما اقول ان هؤلاء هم أهل الطبقات الدنيا من الناس الذين لم يرتقوا في افق الانسانية ويسهل على طلاب العلم لأجل الكسب والاحتراف

ان يكونوا في افق اعلى من افقهم بان يوجهوا نفوسهم الى اعلاء شأن الامة بكسبهم واعمالهم

ايها الاخوة : ان استعداد البشر للكمال لا حد له يعرف ، ولا طرف له يوقف عنده ، وان الانسان قد فطر على طلب الكمال فلا يصل الى شيء منه الا و يطلب مافوقه ، وان افراده يتفاوتون في ذلك تفاوتا لا نظير له في غيره من المخلوقات فمنهم من يكون وجوده بمقدار محيط جسمه لا يكاد يهمه شيء وراء توفية مطالبه كبعض الحيوانات الدنيا ، ومنهم من يتسع وجوده حتى يملأ بلدا كبيرا أو مملكة عظيمة ، وربما تعلو بعض الناس همتهم الى جعل وجودهم المعنوي ساريا في أمم كثيرة مالئا للارض التي يعيش فيها الانسان . ولا نتكلم في هم الانسان واستشعاره لما هو وراء ذلك من عالم الغيب

اذا كان فضل الانسان وسعة وجوده الانساني على قدر نفعه بعلمه وعمله فلا شك ان من توجه نفسه الى نفع جميع البشر يكون افضل واكمل ممن لا يتوجه الا الى نفع أمة واحدة أو شعب واحد ولكن كيف يتأتى للفرد من الناس ان يخدم امما كثيرة؟

الجواب عن هذا السؤال يعرف من القاعدة المعقولة التي جاء بها الحديث النبوي وجرى عليها الشرع الاسلامي وهي « ابدأ بنفسك ثم بمن تعول : الاقرب فالاقرب » وقد قال فقهاؤنا ان من وجد من القوت زيادة عن كفايته قدمه للاقرب اليه من ولد وزوج الخ فان وجد فضلا انفق منه على غير الاقربين من ذوي الحاجات حتى قالوا انه يجب على المسلم ان ينفق على المضطر من غير المسلمين ما لم يكن محاربا لنا وانه يقدم الجار على غيره لقربه !

فعلى هذا يجب علينا ان نبدأ بنشر العلم والقيام بالاعمال النافعة في امتنا ومملكتنا وان يقدم أهل كل بلدة خدمة بلدهم الذي يقيمون فيه على غيره من بلادهم ثم نفيض بعد ذلك من علومنا وأعمالنا النافعة على غيرنا من الامم على الوجه الذي سبقتنا اليه الامم الحية في هذا العصر وامامكم العبرة في المدرسة التي تتعلمون فيها

أليس منشؤ هذه المدرسة يقصدون بها جعل العلم الذي ينفع الناس وسيلة لنشر لغتهم وبث تعاليم مذهبهم الديني في نفوس من يعلمونهم ؟ بلى وان في حالهم هذه لعبرة لنا يجب علينا ان نعتبر بها وان نرفع انفسنا لنكون أولى بهذه المنقبة منهم

يجب عليكم ان تتعاونوا وتعتصموا بعروة الاجتماع وانكم ربما تلقون كيدا واحراجا فتشذوا وتتكبوا جادة الاعتدال في استمساككم بدينكم وحرصكم على الاجتماع والتعاون

فيجب ان تتسع صدوركم لجميع ماتتكرون من معاملة من معكم وان تقابلوهم بالادب في القول والفعل لان الادب من الفضيلة وهي مطلوبة لذاتها ولئلا يكون لهم عليكم حجة بعد ان ثبتت لكم الحجة عند دولتكم ودولتهم

انكم لم تقصدوا بما كان منكم الا إرضاء ضمائركم والمطابقة بين عقائدكم واعمالكم فحسبكم ان يتم لكم ذلك بالهدوء والسكينة والادب. واني اجلكم عن قصد العناد لرؤسائكم واساتذتكم او الجنوح للاستعلاء بالظفر لذاته

وأوصيكم بالمحافظة على الصلوات الخمس ولو منفردين في حجراتكم وبالحرص على صلاة الجماعة كلما تيسر لكم ذلك ولو على ارض حديقة المدرسة فقد قال نبينا صلى الله عليه وسلم «جعلت لي الارض مسجدا وتربتها طهورا»

انكم تقيم بواجبي ديني سلبي وهو الامتناع من دخول الكنيسة لسماع تعاليم دين غير دينكم فعليكم بهذا العمل الايجابي الذي هو عماد الدين «واستعينوا بالصبر والصلاة ان الله مع الصابرين».

﴿ المسلمون في مدارس الجمعيات النصرانية ﴾

المدرسة الكلية الامريكانية

المدرسة الكلية الأمريكانية في بيروت كسائر مدارس الجمعيات النصرانية في الشرق غرض مؤسسيها منها جعل العلم وسيلة الى الدين، ولبعضها غرض سياسي ايضا فهي طريق من طرق الدعوة الى مذاهب مؤسسيها في دينهم. ولهم وسائل أخرى كالمستشفيات والمكتبات وحجرات القراءة يبثون فيها دعوتهم، وينشرون بها مذهبهم، الا أن المدارس الأمريكانية أحسن من غيرها تعليما وأعلى تأديبا وأشد استقلالا وأقل تعصبا على المخالفين في الدين والسياسة، اذ ليس لأمريكا مطامع سياسية في هذه البلاد ولكن قد تؤيد هذه المدارس سياسة انكلترا

إن عقلاء المسلمين يقدرون غيرة مؤسسي هذه الجمعيات الدينية حق قدرها ويعرفون مقدار المستخدمين فيها لنشر دينهم والتوسل اليه بالوسائل النافعة للناس في أجسامهم وعقولهم، ويتمنون لو يوجد في أمتهم الاسلامية اسخياء اجواد يبذلون المال لنشر الاسلام مع العلم النافع الذي هو أساس بنيانه، والعمل الصالح (كالمستشفيات) الذي هو أقوى أركانه،